الأسس العلمية الضابطة لقراءة السيرة النبوية وتجليات التنزيل

الدكتورة سومية حكيم
باحثة في العلوم الشرعية وعلم النفس الاكلينيكي، وعلم النفس التربوي
أستاذة التعليم الثانوي التأهيلي
جامعة مولاي إسماعيل بمكناس
المغرب
الدكتورة دنيا تامري
باحثة في فقه السيرة النبوية – محاسبة زكاة معتمدة، عضو منظمة الزكاة العالمية
أستاذة التعليم الثانوي التأهيلي
جامعة محمد الأول، وجدة
المغرب

مشكل الدراسة: يشهد العالم اليوم تطورا متسارعا في الأحداث وعلى كل المستويات، والذي أصبحت فيه المواكب ضرورة ملحة، حتى لا يتهم هذا الدين بالقصور والعجز، فإننا بحاجة ماسة إلى تطوير وسائل وطرق قراءة السيرة النبوية، قراءة سليمة منبثقة من أصولها ومصادرها.

موضوع الدراسة ومحاوره: ولما للمنهج من تأثير في الكتابة فإننا سعينا إلى تحديد أطر منهجية ضابطة للدراسة والكتابة في السيرة النبوية، مع التأكيد على ضرورة اتباع المنهج السليم في قراءتها وذلك ب: معرفة حدود العقل في قبول النصوص وردها وعدم إهمال الدليل المضاد، والنظر في طرق التأسي وسبل التنزيل.

هدف الدراسة: استخلاص منهج قويم جامع شامل يكون مرجعا علميا في دراسة السيرة النبوية، بشكل علمي دقيق.

منهج الدراسة: من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الورقة التي وسمتها ب: – الأسس الضابطة في قراءة السيرة النبوية وسبل التنزيل– وذلك باعتماد منهج استقرائي وصفي، نتتبع فيه تلك القواعد التي تؤسس لهذا العلم وتضبطه.

توصيات: التأكيد على أهمية السيرة النبوية، وأهمية التحقق من صحة وموثوقية المصادر المستعملة في كتابتها. والحرص على تحليل ونقد الروايات والاسانيد لضمان صدق النقل، مع التركيز على الجوانب الأخلاقية والقيمية في حياة الرسول عليه السلام، لما لها من دور في تعزيز الانتماء، وتنمية الأخلاق، وبناء الشخصية المسلمة الرائدة والمسؤولة.

ومن أهم نتائج هذا البحث: ان السيرة النبوية تبقى رمز للتعايش والتسامح والدعوة للأخوة والإنسانية في أبهى صورها، ورسالة للعالمين، تخرجهم من الظلمات إلى النور، ويبقى البحث فيها مستمرا شيقا، يستدعي المزيد من الاستكشاف، الذي يدفع بالحضارة الإسلامية إلى التألق والازهار والنجاة.

الترجمة:

The problem of the study: The world today is witnessing an accelerated development in events and at all levels, in which processions have become an urgent necessity, so that this religion is not accused of inadequacy and inability, we urgently need to develop the means and methods of reading the Prophet's biography, a sound reading emanating from its origins and sources.

Subject of the study and its axes: Because of the impact of the curriculum on writing, we sought to identify methodological frameworks controlling the study and writing in the biography of the Prophet, with an emphasis on the need to follow the proper approach in reading them by: knowing the limits of reason in accepting texts and rejecting them and not neglecting the counter-evidence, and considering the methods of pathos and ways of downloading.

Objective of the study: To extract a comprehensive comprehensive curriculum that will be a scientific reference in the study of the Prophet's biography, in an accurate scientific manner.

Study Methodology: From this point of view, came the idea of this paper, which I branded with: - The foundations controlling the reading of the Prophet's biography and ways of downloading - by adopting an inductive and descriptive approach, in which we follow those rules that establish and control this science.

Recommendations: Emphasizing the importance of the Prophet's biography, and the importance of verifying the authenticity and reliability of the sources used in writing it. And keenness to analyze and criticize narrations and chains of transmission to ensure the truthfulness of the transmission, with a focus on the ethical and moral aspects of the life of the Prophet, peace be upon him, because of their role in promoting belonging, developing morals, and building the leading and responsible Muslim personality.

Among the most important results of this research: The biography of the Prophet remains a symbol of coexistence, tolerance and the call for brotherhood and humanity in its best form, and a message to the worlds, taking them out of

darkness to the light, and the research remains continuous interesting, calls for further exploration, which pushes Islamic civilization to shine, bloom and survive .

تقديم:

تعتبر السيرة النبوية من بين أهم المصادر التشريع التي يستقى منها المنهج الإسلامي الأصيل، إذ تعد مرجعا أساس للدارسين والمهتمين بالحقل الديني ومرجعا للناشئين والمهتمين. ومجالا فسيحا للاقتداء والاهتداء. فهي الصورة المثلى لما كان عليه الرعيل الأول. "ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة، وإمامة وقيادة، وعدل ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد، في سبيل العقيدة والشريعة، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة كما أشار إلى ذلك أبو شهبة. [1] وهو يؤكد تتابع الكتابات في السيرة بشكل منقطع النظير، يقول رحمه الله-:" مهما يكن من شيء.. فلم تعن أمة من الأمم في القديم والحديث بآثار نبيها وحياته، وكل ما يتصل به من قرب أو بعد، مثل ما عنيت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل، هذه العناية التي كان من آثارها هذه الثروة الطائلة من الكتب المؤلفة في مولده، وسيرته، وحياته، وشمائله، وفضائله، وخصوصياته، ومعجزات، وأخلاقه، وآدابه، وأزواجه، وأولاده، وأجداده، وجداته، ونسبه... إلى أن قال: "وإن ما يتعلق بالسيرة النبوية وسير آل بيت النبي ليكون مكتبة حافلة قيمة تعدو الألوف عدا".[2]

وهو ما يضع دارس السيرة كما يؤكد رحمه الله في حيرة شديدة، في أي الكتب يقرأ؟ وبأي كتاب يبدأ؟ وكيف تكون الأولويات في دراسة السيرة؟

- من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الورقة التي وسمتها ب: – الأسس العلمية الضابطة لقراءة السيرة النبوية وتجليات التنزيل

ولا ندعي هنا أننا أتينا بنا لم يأت به الأوائل وإنما عملنا هنا البناء على ما كتب في هذا الباب واستخلاص منهج جامع شامل يكون مرجعا علميا في دراسة السيرة النبوية، لأننا عند النظر نجد كتابات أبدعت في هذا الباب على اختلاف أساليبها ومناهجها وأهداف أصحابها.

فمناهج الباحثين في السيرة النبوية كثيرة ومختلفة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب الشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي. والذي جمع فيه كل ما يتعلق بالنبي عليه السلام من أحاديث مسندة عن خلقه وخلقته وطعامه وكل تفاصيل حياته نقلا عن الأحاديث والأخبار دون زيادة او نقصان. وأيضا هناك كتاب واف وجامع، ويعد من أهم مصادر السيرة النبوية الجامعة وهو تهذيب سيرة لابن هشام لعبد السلام هارون والذي بناها على سيرة ابن إسحاق، والذي يعد المصنف الأول في السيرة. وفصل الحديث فيه تفصيلا شاملا لمرحلة ما قبل البعثة وما بعدها ومواقفه وكل الأحداث المصاحبة الى وفاته عليه السلام، أيضا كتاب الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، انتشر هذا الكتاب في العالم وحاز على ترجمات عديدة والسر في ذلك أن صاحبه اختار المنهج التاريخي في سرد أحداث السيرة النبوية مع الامتزاج بين البساطة والشمولية.

ثم كتاب الرسول حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره لعبد الرحمن سالم، هذا الكتاب يعتبر من بين الكتب التي نهجت منهجا دقيقا في سرد أحداث السيرة منذ البعثة حتى الوفاة حيث عمد صاحبه على إثارة الملاحظات والاستدراكات على الكثير من الهفوات والأخطاء التي وقع فيها المؤرخون للسيرة. ولا ننسى فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي وهو من الكتب الرائعة التي تشدك شدا للقراءة والمتابعة دون ملل، نظرا للغته السلسلة المشوقة، فقد حرص فيه على تقديم السيرة كنموذج عملي للإيمان والأخلاق في أبهى صورها. وقد تم تحقيق الكتاب من طرف الشيخ ناصر الدين الالباني رحمه الله،

ثم السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الباب التي اعتنت بالجانب المنهجي ايما اعتناء، حيث طبق فيه الكاتب منهج المحدثين على مرويات السيرة، وبذلك نهج منهجا تاريخيا توثيقيا في التعاطي مع أحداث السيرة النبوية، تحرى فيه الدقة والصحة، لينتج قراءات يراها أكثر دقة وضبطا.

ونختم بكتاب يعتبر من أوعب الكتب المعاصرة للسيرة النبوية وأكثرها تفصيلا وتحليلا وهو كتاب محمد رسول الله منهج ورسالة بحث وتحقيق، لمحمد الصادق عرجون، استطاع الكاتب فيه أن يبين بدقة أخطاء وترهات العقلانيين والمشككين في السيرة النبوية وأحداثها في كل موضع. بمنهج استقصائي فريد، عمد فيه إلى تحقيق الروايات والتحقق من المواقف حسب منهجه التاريخي.

هذه بعض الكتب المتخصصة التي كتبت بشكل دقيق في مجال السيرة النبوية وغيرها كثير، وعملنا اليوم يتجه نحو تقديم منهج قويم منتقى من خلال ما سبق في كتابة السيرة النبوية وقراءتها بشكل علمي دقيق وشامل، يجد الباحث فيه بغيته، ويمنعه من الزلل والشطط عند قراءته للسيرة النبوية أو الكتابة فيها.

لذلك جاءت هذه الورقة في ثلاث محاور رئيسة: خصصت المحور الأول: لمفهوم السيرة وأهمية ضبطها، والمحور الثاني: لبيان المنهج السليم في قراءة السيرة، وأفردت المحور الثالث: بذكر طرق التأسي وسبل التنزيل، ثم ختمت بخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

المحور الأول: مفهوم السيرة وأهمية ضبطها

المبحث الأول: مفهوم السيرة في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم السيرة في اللغة

عند تعريف كلمة السيرة (بكسر السين وفتح الراء) لا بد من الرجوع إلى كتب اللغة ومعاجمها للوقوف على مدلول هذا اللفظ عند اللغويين، وذلك لكي يتضح ما يتضمنه هذا المصطلح الذي إذا أطلق ذهب المعنى تلقائيا إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

من هنا وجب التعريف بهذا المصطلح لغويا حتى نتمكن من تعريفه بعد ذلك عند عموم المؤرخين، وعند أهل الاختصاص ممن يذهب إلى أبعد من التعريف الاصطلاحي، ليضمنه أمورا حسية ومادية، وظاهرة وباطنة عن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ليشمل التعريف كل شيء يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته حتى وفاته، في شؤون الحياة كلها؛ العقدية، والفكرية، والاجتماعية، والأخلاقية، والإنسانية.

بهذا المفهوم الواسع، لا بد أن يوفر التعريف اللغوي ما يوضح هذه الحقيقة عن مصطلح السيرة النبوية، وكيف تطور ليعطي هذا المدلول الواسع الشامل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول اهل اللغة: "{السير: الذهاب) نهارا وليلا، وأما السري فلا يكون إلا ليلا، (كالمسير)، يقال: {سار القوم} يسيرون {سيرا} ومسيرا، إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا لها،"[3]

و "سار سيرا، وتسيارا، ومسارا، وسار السنة أو السيرة سلكها واتبعها، والسيرة وجمعها سير تطلق على السنة والطريقة والهيئة والمذهب، ووصف السلوك، والحالة التي يكون عليها الإنسان". [4]

و"(السيرة) السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. والسيرة النبوية وكتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال قرأت سيرة فلان تاريخ حياته (ج) سير".[5]

المطلب الثاني: مفهوم السيرة في الاصطلاح

- **في اصطلاح المحدثين**

وعليه فإن السيرة النبوية يكون المقصود بها كيف كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس طوال حياته من مولده إلى وفاته، ومن ثم يمكن تعريف السيرة النبوية اصطلاحا بأنها ذكر أحداث حياة النبي صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته، وما يتعلق بذلك من أشخاص ووقائع مع ترتيبها ترتيبا زمنيا.

وهي في اصطلاح المحدثين: "ما أثر عن النبي– صلى الله عليه وسلم – من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم".[6]

وقد تطلق السنة عندهم على: "ما دل عليه دليل شرعي، سواء كان ذلك في الكتاب العزيز، أو عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، أو اجتهد فيه الصحابة، كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد، وتدوين الدواوين، ويقابل ذلك «البدعة». [7] فعلماء الحديث:" إنما بحثوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا". [8]

وذكر راغب الحنفي في تعريفه لسنة: هي كل قول أو فعل أو تقرير لرسول الله صلى الله عليه وسلم. بمعنى: أن أي فعل فعله أحد الصحابة وأقره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن سكت عنه أو استحسنه فهو من السنة المطهرة، وليس من الممكن أن تعرف السنة من غير دراسة السيرة النبوية[9].

- **في اصطلاح الأصوليين والفقهاء**

وفي اصطلاح الأصوليين: "ما نقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير".[10]

وفي اصطلاح الفقهاء: "ما ثبت عن النبي– صلى الله عليه وسلم – من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة، ومنه قولهم: «طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا» ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي يعني بها كل فئة من أهل العلم. فعلماء الأصول: "إنما بحثوا عن رسول الله المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده: ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله و تقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها". وعلماء الفقه: "إنما بحثوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا، أو حرمة، أو إباحة، أو غير ذلك". [11]

ونحن هنا نريد بالسنة المدلول الواسع الشامل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أي دراسة شاملة لحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتوجهاته وأعماله. ودوره في تأسيس الإسلام والتحديات التي واجهها عليه السلام، وذلك لإلهام الناس وتعزيز القيم الإسلامية والسلوكيات الحميدة لديهم، ومن جانب آخر، تقديمها كمنهج للقيادة والتغيير الاجتماعي. فباستخدام منهجها، يتم استخلاص الدروس والمبادئ القيادية من حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويتم تحليل القرارات التي اتخذها وكيفية تعامله مع التحديات والأزمات. تلك المفاهيم القيادية يمكن تطبيقها في الحياة المهنية والشخصية للتميز والنجاح.

وهذا يقودنا لسؤال مهم. إذا كان للسنة النبوية كل هذه الأهمية، فكيف يمكننا ضبط هذه السنة الواسعة الشاسعة من الغلو والشذوذ أو التنطع والتسيب؟ وهو ما سنفصل فيه القول في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: أهمية الضبط في دراسة السيرة النبوية

يكفي دلالة على القناعة بأهمية دراسة السيرة تلك الكتابات المتكاثرة التي تحاول الإفادة من السيرة بأكثر من صورة، ولما لمنهج الكاتب من تأثير في كتاباته فإن من المهم السعي إلى تحديد أطر منهجية ضابطة للدراسة والكتابة، وهذه محاولة لرسم بعض المعالم والضوابط أرجو بها النفع.

المطلب الأول: فهم حقيقة الإسلام ومنهجه المتكامل

لا يخفى على كل دي لب ما يكتسبه هذا القيد من مكانة من جهة عجز من يفتقده عن:" قراءة أحداث السيرة قراءة موضوعية تمكنه من سلامة فهم الأحداث، وتقصي أسبابها، ومعرفة دوافعها، وتفسيرها بما يتفق مع روح الإسلام، فمن المهم أن يعنى بالجانب التشريعي الذي يحتكم إليه المجتمع، وتوضح الضوابط الخلقية والقانونية التي تحكم حركة الأفراد والمجتمعات[12]،

كما لا تتصور مسألة الفصل بين ما هو سياسي وعسكري، وبين ما هو خلقي وتشريعي، خاصة في القرون الأولى من تاريخ الإسلام؛ "حيث تتشابك العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بالعقيدة تشابكا وثيقا بحيث يصعب فهم حركة التاريخ في تلك المرحلة دون فهم روح الإسلام ومبادئه".[13]

فمطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى قراءة السيرة ودراستها دراسة استراتيجية في مختلف الحالات الاجتماعية والتربوية والعلمية والإدارية والسياسية والاقتصادية، والحركية، والأمنية، والثقافية.. "ففي السيرة بيان لجميع الحالات أو أصولها؛ خلافا لصنيع بعض كتاب السيرة حين يصورون حياة النبي صلى الله عليه وسلم على أنها صراع وحروب وغزوات وسرايا، ويغفلون عن الجوانب الأخرى".[14]

وما دامت هي كذلك، فلا بد أنها: " تحتوي على كل ما تحتاجه البشرية لسعادة الدارين، في كل زمان ومكان. وتجد- بالأخذ بها- برد الظلال الندية، تحميها من حر الهجير، وتلف الشرود، وتيه الانحراف. وتحس بالأنس إلى جوارها من موحشات الحياة، وتفرح بإنسانيتها، وتنجو بها من التشتت والتفتت، وتسعد بورودها، وتنعم بحضارتها الفريدة، ملتصقة بها، محافظة عليها، وتلجأ إليها دوما، وتحيا بها دون تراخ أو انفكاك،[15]

ففيها حلولا لكل ما يمكن أن يعترض سبيل الإنسان في هذه الحياة، وإجابات لكل تساؤلاته وإشكالاته، وسكنا لحيرته وتيهه، وفضاء فسيحا للنمو والازدهار الحضاري والفكري وعالما واسعا يضم الإنسانية جمعاء، لأنها رسالة إلى العالمين أجمعين غايتها إسعاد الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور.

إزاء هذا الضابط نرى أنفسنا أمام خطرين اثنين: أولهما: افتقاد بعض الباحثين والدارسين إلى المرجعية الشرعية، وثانيهما: قراءة السيرة بأنظمة معرفية أخرى: وفصلها عن نسقها المعرفي وسياقها ومناسباتها... في هذه الورقة يمكن الإشارة الى بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر فيما هو قادم من المباحث.

المطلب الثاني: السيرة النبوية دستور عمل ومنهج حياة

فالسيرة النبوية الشريفة، شرح عملي عميق في واقع الحياة، وتصوير للقرآن الكريم والإسلام كله، في ميادينها كافة، وليست مجرد وقائع تاريخية تسرد لأجل الافتخار والتغني بها في المحافل والمنتديات. وإما ينبغي أن نفقهها كدستور حياة ومنهاج عمل، يقتبس منه الدارس حقيقة الإسلام ومبادئه وقواعده وأحكامه وحكمه التي جسدها المثل الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم. ومن تبعه من الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين. فهم جسدوا لنا بصدق أروع قدوة ومثل للإنسانية جمعاء. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ [الأحزاب 33/ 21]. فلا تحقق للإسلام على ارض الواقع إلا بمعرفة السيرة قولا وعملا وتجسيدها واقعا واتخاذها منهجا ودستورا في كل مناحي الحياة.

وكان من لطف الله تعالى أن الذي أراده الله من هذا الدين، أسلوبا ووضوحا وثبوتا وشمولا وسعة وامتدادا، كله قد تم وقام في الحياة عمليا وقويا ومهيبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كيلا يفتقد أي أحد القدوة والمثل.

ومع هذا كله وجب تحليل الواقع المعاش من خلال متخصصين، لا متحمسين فقط، ثم دراسة السيرة وتحليلها، وتحديد مواقع الاقتداء فيها، أو اكتشاف المرحلة من السيرة التي تمثل حالة الاقتداء وكيفيته من خلال ظروف الحال نفسه.

لأن الحديث عن المنهج إنما هو حديث عن الطريقة المثلى القويمة. أي: صراط الله المستقيم الذي رسم معالمه الوحي الرباني. وحدد وظائفه ومقاصده الرسول الأمين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

باعتباره منهجا عبقريا أصيلا متكاملا وشاملا، صالحا لكل زمان ومكان، بما امتاز به من مرونة قواعده، ونبل وسائله، وشرف مقاصده، وقدرته على الدفع بالإنسانية نحو الرقي، والرشاد، والفلاح، والسؤدد.

المحور الثاني: المنهج السليم في قراءة السيرة

المبحث الأول: معرفة حدود العقل في قبول النصوص وردها وعدم اهمال الدليل المضاد.

المطلب الأول: معرفة حدود العقل في نقد المتون.

يرى العديد من الدارسين وخاصة من المستشرقين أن علماء المسلمين أهملوا نقد المتون، وأن ذلك لغياب عقليتهم النقدية. وهذا مردود، كما يؤكد ابن تيمية رحمه الله "الأحاديث التي ينقلها كثير من الجهال لا ضابط لها، لكن منها ما يعرف كذبه بالعقل، ومنها

ما يعرف كذبه بالعادة، ومنها ما يعرف كذبه بأنه خلاف ما علم بالنقل الصحيح، ومنها ما يعرف كذبه بطرق أخرى".[16] وجهود العلماء في هذا المجال لا يمكن عدها أو حصرها في غربلة التراث الحديثي سندا ومتنا.

كما يحسب في عداد تقويم العقلية النقدية لدى المسلمين: "خدمتهم لنصوص أحاديث الأحكام خدمة بالغة، وجهودهم في كتب أصول الفقه التي تنبئ عن عقلية فذة، وإذا علمنا أن للمؤرخين القدامى كتبا في فنون أخرى لم يجز لنا أن نتهمهم بإهمال المتون، كما يجب مراعاة عنصر الزمن، فلا تقوم جهودهم بمقاييس أنجزها التقدم العلمي اليوم؛ لئلا يغمطوا حقهم، على أن علم مصطلح الحديث قد اشتمل على مباحث تشكل الجانب النظري لنقد المتون، ولكن القصور حصل في تطبيق ذلك على الرواية التاريخية، فلم تحظ بما حظيت به الأحاديث النبوية من العناية". [17]

ولقد أوضح الدكتور أكرم ضياء العمري أن الجانب النظري لنقد المتن كان " متبلورا إلى حد كبير منذ القرون الأولى في كتب مصطلح الحديث كما في أقسام المدرج والمعلل والمضطرب والشاذ والمنكر والموضوع وغيرها مما يدور الكلام فيها على نقد الأسانيد والمتون معا، ولكن القصور كان في تطبيق ذلك عمليا عند التعامل مع الرواية التأريخية التي لم تحظ بنفس القدر من النقد الذي حظيت به الأحاديث النبوية".[18] ولهذا وجب الانتباه لذلك من لدن المهتمين بالكتابة في الدرس السيري.

المطلب الثاني: عرض الأحاديث على كليات الدين وقواعده مع عدم إهمال الأدلة المضادة.

لقد انزلق المطالبون بنقد المتون؛ حيث أجروا أحكام العقل في المتون الثابتة، وجعلوا ذلك أساسا للرد والقبول، وذلك أمر تتفاوت فيه العقول كما يبين محمد الغزالي، وإنما يجيء الإشكال كما وضح من: "جهة قصور العقل عن إدراك الخطاب للتوفيق بينه وبين النصوص الأخرى، وربما يثبت من لم يلتزم منهج المحدثين حديثا واهيا لصحة معناه، وقد يرد رواية الشيخين لظنه تعارضها مع مبادئ الإسلام وقواعده، وهذا تحكيم ضعيف للعقل".[19]

وإن" أغلب العلماء جرى على مثلها في مواجهة المرويات الضعيفة والصحيحة على سواء. وقرروا أن الحديث الضعيف يعمل به ما دام ملتئما مع الأصول العامة، والقواعد الجامعة، وهذه الأصول والقواعد مستفادة- بداهة- من الكتاب والسنة، وعلى ضوء هذا النظر المنصف حكيت استشارة رسول الله عليه الصلاة والسلام للحباب في موقعة بدر- وإن وهن المحدثون سندها- لأنها تدور في نطاق الفضائل التي أمر بها الله ورسوله، وليس في سوقها ما يحذر قط".[20] وهذا ملمح لطيف فيما يخص منهج التعامل مع الأحاديث الضعيفة، واغفالها يمكن أن يترك شبه فراغ عند قراءة بعض أحداث السيرة النبوية الشريفة. ولهذا وجب الاهتمام بهذا الامر وفق الضوابط الشرعية.

ومن الأخطاء المنهجية التي يمكن أن يقع فيها دارس السيرة النبوية هو: " نفي المعجزات الثابتة بالنقل الصحيح، وهو في حقيقته انصياع للفكر المادي والفلسفات الوضعية، مع أن المسلم لا بد له من الاعتزاز الذي يحقق له الاستقلال التام في النظر والبحث العلمي".[21]

وأيضا من أسوأ العيوب المنهجية، وأشدها خطورة على نتائج أي بحث علمي، هي أن يتجاهل الباحث الأدلة المضادة – يعني المخالفة – لرأيه سواء أكان ذلك بسبب إهماله، أم تحيزه، أم لأي سبب آخر، يقول الدكتور خالد بن منصور بن عبد الله الدريس: "من أهم العوائق التي تحول بين الباحث، والوصول إلى الحقيقة: تجاهل الأدلة المضادة، وعليه فإن الدليل المضاد يجب أن يعطى وزن الدليل المؤيد نفسه، حتى لو كان في ذلك تغيير لمنطلقات البحث الأساسية؛ لأن هدف الباحث الأول هو الوصول إلى الحقيقة".[22]

ولا يخفى خطورة الأدلة المضادة على نتائج أي بحث علمي، ولذلك بمجرد "الاعتماد على سكوت المصادر في نفي صحة المعلومات التي تثبتها مصادر أخرى، لا يعد عملا مقبولا علميا عند أساتذة المنهجية".[23]

وهذا ديدن كل من أراد النيل من سيرة المصطفى عليه السلام وهذا منهجهم المتبع وهو تجاهل إن لم يكن "حجب" الأدلة المضادة التي تخالف أحكامه التعسفية الجائرة والظالمة.

المبحث الثاني: فهم السيرة من خلال القران وتفادي الانتقائية

المطلب الأول: فهم السيرة من خلال القران.

إن بحث السيرة في القرآن مما يضيف جديدا للبحث العلمي في هذا الباب من ناحيتين:

الأولى: "المقارنة بين ما نزل من القرآن ووقع في السيرة النبوية من القصص والعبر المأخوذة منه والحكم والفهم عن الله والتحذير وغيره مما جاء به القرآن الكريم ليفيد المسلمين مطلوب الهداية من سيرته – صلى الله عليه وسلم –، وليميز للمؤمنين المتقين مراد الله وحكمته وموعظته وشرعه إلى آخر ما أشرنا إلى شيء منه مع المقارنة بقصص الانبياء السابقين وشيء من سيرتهم ليحذر المشركين من سوء عاقبة ما هم فيه، ويبشر المؤمنين بنصر الله إلى كثير مما دق أو جل مما جاء في القرآن الكريم".[24]

الثانية: "المقارنة بين ما جاء في القرآن عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وعن الأنبياء عليهم السلام مما يوضح أم مشكاة النبوة واحدة، ويبرهن على ما ادخر الله من فضل لهذه الأمة، وعلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سيد ولد آدم ولا فخر". [25]

اذن: أي دراسة للسيرة النبوية لا بد وأن تكون في ضوء القرآن والسنة النبوية وذلك بذكر الآيات القرآنية المتعلقة بحوادث السيرة ووقائعها، وشرح ما غمض منها، وإزالة ما عسى أن يكون بين ظواهر هذه الآيات من توهم الاختلاف أو التعارض، وتنزيل هذه الآيات على حسب الوقائع والحوادث.

وإن من نافلة القول: ان المرجع الأول في دراسة السيرة النبوية هو القران الكريم، "لأنه الكتاب المتواتر الذي يفيد القطع واليقين، ولا يتطرق إليه الشك والارتياب، فهو أوثق المصادر، وأولاها بالقبول".[26]

المطلب الثاني: تفادي الانتقائية في اختيار المصادر وتمحيص الأخبار

من أخطر العيوب المنهجية في البحث العلمي، أن يتوصل الباحث إلى نتائج محددة عامة تكون مبنية على معلومات مستقاة من مصادر غير متخصصة في موضوع بحثه.

وهذا ما يقع لبعض الباحثين في دراستهم للسيرة النبوية حيث يعتمدون في ذلك على:" مصادر فقهية، وليست حديثيه، فلا تجد لهم اعتماد على كتب في علم مصطلح الحديث، أو الجرح والتعديل، أو العلل، أو التخريج"،[27] ومن الواضح ان لا ثقة بنتائج أي بحث يهمل صاحبه المصادر الاصلية لعلم الحديث في بحثه.

وكم من عمل من أعمال التاريخ عولج وفقا لقواعد أدق المناهج قد أفسده، بل قضى عليه قضاء مبرما، أمر مادي بسيط هو أن المؤلف لم يقف على وثائق كان من شأنها أن توضح تلك التي كانت في متناول يده – واقتصر عليها–، وأن تكملها أو تنقضها كما يؤكد الدكتور: خالد بن منصور بن عبد الله الدريس في كتابه العيوب المنهجية ..."[28]

"ولهذا كان الاعتماد على المصادر الثانوية أو غير المتخصصة مما يعيب منهج البحث ويضر بالنتائج. قد حرص كتاب السيرة المعروفين بدقة المنهج وصوابه بذكر النقول بنصها وألا يكون هناك نص أصح منه، أو أوثق أو أوفى مروي في غير السيرة فإنهم يؤثرون عليه، وذلك لما يمتاز به التأليف في العصور الأولى من قوة الأسلوب، وفحولة المعاني، وجزالة الألفاظ، وإشراق الديباجة، والتزام أساليب العرب، ومذاهبهم في البيان".[29]

اذن: لابد في دراستنا لأي موضوع في السيرة النبوية من دراستنا الأحاديث المتصلة بالموضوعات مع الاقتصار على الصالح منها للاحتجاج من حديث صحيح، أو حسن، أو مقبول، وعدم الاعتماد على الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيليات المكذوبة، أو الروايات الشديدة الضعف، إذ في الأحاديث الثابتة ما يغني عنها.

وكذلك الامر في تمحيص الصحيح من الأخبار فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة، فالناس في اشتراط تمييز الصحيح من الضعيف في روايات السيرة على قولين مشهورين:

الأول: "من لم يشترط التمحيص وأجاز إيراد كل مرويات السيرة، واحتج بأن كتبة السيرة لم يعتمدوه ولم يحرصوا عليه، واستدلوا بما اشتهر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: "ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير".[30]

وهذا الكلام محمول على وجه وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها، فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من وجوه مرضية وطرق واضحة جلية".[31]

وأن ثبوت هذه المقولة عن الإمام أحمد موضع نظر ومن ذا الذي يقول :إنه لا يثبت شيء في مغازي المسلمين؟ فأين ما في الصحاح والسنن، وأين ما ذكره الإمام أحمد نفسه في مسنده؟

القول الثاني وهو المطلوب: "اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها، ثم الحسنة، ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ... وعند التعارض يقدم الأقوى دائما.. أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي؛ لأن القاعدة، التشدد فيما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة".[32]

أما الروايات التاريخية المتعلقة بالعمران: كتخطيط المدن، وزيادة الأبنية، وشق التبرع.. أو المتعلقة بوصف ميادين القتال وأخبار المجاهدين الدالة على شجاعتهم وتضحيتهم فلا بأس من التساهل فيها كما يقول العمري"[33]

"ولا يخفى أن عصر السيرة النبوية والخلافة الراشدة مليء بالسوابق الفقهية، والخلفاء الراشدون كانوا يجتهدون في تسيير دفة الحياة وفق تعاليم الإسلام؛ فهم موضع اقتداء ومتابعة فيما استنبطوا من أحكام ونظم لأقضية استجدت بعد توسع الدولة الإسلامية على إثر الفتوح.

وهذا هو المنهج المعتبر عند الأئمة المحققين، يشهد به صنيع الذهبي في تاريخ الإسلام، وابن سيد الناس في: عيون الأثر وابن حجر في الفتح، وكذلك ابن القيم وابن كثير، أما ما يؤخذ من الروايات التاريخية فهو ما اتفق عليه الإخباريون".[34]

أما اشتراط الصحة في كل خبر تاريخي والذي مشى عليه بعض المؤلفين في السيرة فاختزلوا كثيراً من أحداثها فإن ذلك يترتب عليه تضييع ثروة علمية كبرى، وإهدار الاستفادة منها في مجالات تربوية وإدارية.. ونحوها؛ حيث تضعف الثقة في كل ما استنبط منها.

يبقى كيف تدون السيرة على ضوء المنهج السابق: هل تذكر كل الأحاديث بنصوصها، أم يجمع بين الروايات في سياق واحد؟ والظاهر: هو الطريق الثاني؛ تحاشيا لتشوش القارئ، وتشتت ذهنه بانقطاع الأحداث، وتكرر بعضها، وعدم وضوح صورة متسلسلة متكاملة للسيرة. تصلح للاقتداء والاهتداء كما سنفصل في المحور الثالث من هذه الورقة.

المحور الثالث: السيرة النبوية بين طرق التأسي وسبل التنزيل

المبحث الأول: طرق التأسي وحسن الاتباع.

المطلب الأول: صدق العاطفة وتوازنها

من أسس الكتابة في السيرة ودراستها توفر المحبة الصادقة لصاحبها صلى الله عليه وسلم، والعاطفة الحية التي تشعر بمدى الارتباط الحقيقي قلبا وقالبا، والتفاعل الحقيقي مع أحداث سيرته، ولقد عبر الشيخ محمد الغزالي عن هذه العاطفة الجياشة وهو يكتب مقدمة كتابه حيث قال:" إنني أكتب في السيرة كما يكتب جندي عن قائده، أو تابع عن سيده، أو تلميذ عن أستاذه، ولست كما قلت مؤرخا محايدا مبتوت الصلة بمن يكتب عنه. [35] ليؤكد بمقاله أن دراسة السيرة عند المسلمين إنما هي تعبدا لله وتقربا إليه، فهي سبيل لتنمية ذلك الحب، وسقي تلك العاطفة، لأن سيرته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ليست مجرد سيرة تحكى كعبقري من العباقرة أو رجل صالح أو ذكي كما يدعي الاستشراق. أو أنها سيرة رجل أو ملك أو شخصية غيرت مجرى التاريخ فقط، وإنما نقرؤها على أساس أنها سيرة نبي مبعوث من عند الله تعالى.

ولهذا كلما كانت القراءة للسيرة النبوية قراءة صادقة للأحداث والوقائع، إلا وتركت آثارها في النفوس دون افتعال أو احتيال. ومن تم كانت طرق قراءة السيرة لها دور في بيان هذا المغزى العميق. وقد كان منهج سلف الامة في قراءة السيرة فريقان كما أكد محمد الغمراوي: « –قوم قصروا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وما يجب له من الإجلال والتوقير والتعظيم، فدرسوا سيرته كما يدرسون سائر الشخصيات الأخرى، فنظروا لجوانب العظمة البشرية والقيادة والعبقرية والبطولة والملك والإصلاح الاجتماعي، مغفلين الجانب الأعلى في حياته، وهو تشرفه بوحي الله عز وجل وختم النبوة والرسالة. ولهؤلاء يحسن سياق خبر أبي سفيان يوم فتح مكة؛ حيث قال للعباس لما رأى كتائب الصحابة رضي الله عنه: "والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيما، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال :فنعم إذاً".[36]

وآخرون بالغوا في التعظيم وغلوا في منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يرق لهم وصفه بالبشرية، بل ربما خطر لبعضهم أنه ضرب من الجفاء! مع أن كونه صلى الله عليه وسلم بشرا عبدا لله عز وجل من مسلمات العقيدة، وخلافه ضرب من الضلال، فالحق وسط بين الطرفين".[37]

ولهذا كلما كانت منهج دراسة السيرة سليما كلما ترك ذلك أثرا كبيرا في العقيدة والعبادة والسلوك.

المطلب الثاني: حسن التأسي

إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تلحق حياته بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلا ولا كثيرا، وإذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جليا بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء، ولذلك أثر بعيد المدى في السلوك الإنساني والاجتماعي لاتباعهم".38

ومن تم لا غرو أن نجد دعاة الألوهية لعيسى عليه السلام ولبوذا "جعلهما أبعد منالا من أن يكونا قدوة نموذجية للإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية، بينما ظل وسيظل محمد صلى الله عليه وسلم المثل النموذجي الإنساني الكامل لكل من أراد أن يعيش سعيدا كريما في نفسه وأسرته وبيئته، ومن هنا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب:21]" 39

إن قنوات السيرة وأشعتها مبثوثة في التاريخ الإسلامي بطوله، وحتى الوقت الحاضر- وإن تفاوتت- وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. مبثوثة في واقع الحياة، ومدونة محفوظة موثقة في مصادرها الأمينة. وطالما كانت السيرة مثار اهتمام وانتباه زائد مركز، وكلما هبطت بالأمة الأثقال، رفعت عن المسلمين الآثام. 40

وكم قادت أناس إلى معرفة الإله والإيمان برسوله حيث وجدوا الأمان والسلام والسعة.

والسيرة ميدان للتربية على الإسلام، من خلال التاريخ؛ لأن الإعجاب بالشيء الكريم، والموقف المحمود، والمشهد المحبوب- فطرة أصيلة متفتحة- يقود للأخذ بذلك الشيء سريعا، خاصة إذا كان متمثلا بإنسان وفي نفس السن المبكر بشكل أكثر. ولا بد كما يؤكد عبد الرحمن على الحجى من:" الإعجاب بالسيرة خلال الاطلاع عليها، فنرى الإسلام كما أنزله الله تعالى وأوحى به، متمثلا في إنسان وأعني به: أناسي- وأول ذلك بصاحبها صلى الله عليه وسلم وبالذين رباهم على يديه بهذا الدين العظيم. [41]

فهي تحكي لنا : "سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكي لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله المتلمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، الباذل منتهى طاقته وجهده في إبلاغ رسالته، كما تحكي لنا سيرته كرئيس دولة يضع لدولته أقوم النظم وأصحها، ويحميها بيقظته وإخلاصه وصدقه بما يكفل لها النجاح، كما تحكي لنا سيرة الرسول الزوج والأب في حنو العاطفة، وحسن المعاملة، والتمييز الواضح بين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والأولاد، كما تحكي لنا سيرة الرسول المربي المرشد الذي يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم، ومن نفسه إلى نفوسهم، مما يجعلهم يحاولون الاقتداء به في دقيق الأمور وكبيرها، كما تحكي لنا سيرة الرسول الصديق الذي يقوم بواجبات الصحبة، ويفي بالتزاماتها وآدابها، مما يجعل أصحابه يحبونه كحبهم لأنفسهم وأكثر من حبهم لأهليهم وأقربائهم، وسيرته تحكي لنا سيرة المحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسي الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصادق". [42]

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة والمثل الأعلى الى قيام الساعة.

المبحث الثاني: تحليل الاحداث وتنزيلها على الواقع

المطلب الأول: تحليل الاحداث

لا يخفى ما قدمه العلماء المتقدمون من مجهودات مضنية في حفظ العلم وروايته، لكن أشغلهم ذلك في بعض الأحيان عن العناية بتحليل الأخبار ودراستها والنظر في أسباب الأحداث وملابساتها... .وفي عصور الضعف لم يأخذ جانب التحليل والدراسة حقه.

فإذا كان النقد التاريخي يبدو ضعيفا في دراساتنا كما يؤكد العمري، "فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصورا، بسبب النظرة التجزيئية للقضايا والسطحية في التعامل مع الروايات وعدم وضوح التصور الإسلامي لحركة التاريخ" [43]

فقلما نرى مؤرخ إسلامي قديما يركز على السنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ رغم أن القرآن الكريم لفت نظر المسلمين إلى ذلك كله بوضوح "بل أن أحدا من مؤرخي الإسلام لم يحاول إعادة صياغة النظرة القرآنية للتاريخ وتقديم الوقائع والتطبيقات والشواهد التاريخية عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون مقدمته، رغم أن المفكرين المسلمين تعاملوا مع الفلسفة والمنطق منذ القرون الأولى وأفادوا منها في بناء علوم اللغة وأصول الفقه بوضوح، وتصرفوا في ذلك بعقليتهم اليقظة التي تنفي ما يناقض المعتقد الإيماني والتصور الإسلامي، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير، وكان نجاحهم في تخطي التجربة يرتبط بمدى وضوح العقيدة وصفائها في عقولهم"[44]

"والحق أن المحدثين في باب التحليل والتعليق والموازنة بين المواقف قد أربوا على المتقدمين، وأكسبوا السيرة جدة ورواء، وقد تفاوتوا في ذلك على حسب تفاوتهم في المراتب، وسعة العلم والأفق، والاطلاع على سير الآخرين".[45]

إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لكل النواحي ولهذا كان لزاما حسن قراءتها في شموليتها دون تجزيئ. وإعادة صياغة نظريات كلية من أصل القرآن وسيرة المصطفى عليه السلام لتكون منهجا للاقتداء والإتساء ومنطلقا للتطور والانطلاق نحو العطاء.

المطلب الثاني: تنزيلها على الواقع

علمنا سلفا ما لتأصيل السيرة النبوية من أهمية في توثيق الأحداث انطلاقا من مصادرها الاصلية والتحقيق في الروايات الحديثة، ودراسة السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي لحسن فهم حياته عليه السلام وكيفية إدارته للمجتمع قصد الاستفادة منها وتنزيلها على واقع الأمة اليوم لأن الغرض من دراسة السيرة النبوية هو حسن التنزيل واستخلاص القيم والمبادئ وفهم الدروس والعبر لإعادة إنتاج النموذج الفذ الذي أسسه الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وازكى السلام،

فالسيرة النبوية كما رأينا لابد وأن تجمع بين التأصيل والتنزيل، حيث يتم توثيق الأحداث والروايات بدقة وتحليلها بناءً على المنهج العلمي، ثم يستخلص العبر والدروس منها لتوجيه سلوك المسلمين وتعزيز القيم الإسلامية في المجتمع. هذا الجمع بين التأصيل والتنزيل يساهم في فهم شامل وتطبيق عملي للسيرة النبوية في الحياة اليومية.

وتبقى السيرة النبوية الشريفة متداخلة مع كل ما ومن صحب وعايش الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وواجب المسلمين اليوم كما يؤكد عبد الرحمن:"تقديمها بأسلوب شيق وصادق وجميل وجذاب، للمسلمين وغير المسلمين- بالعربية وغيرها- تقربا إلى الله تعالى، ودعوة لدينه، وتنفيذا لأمره، وإحقاقا لشرعه.[46]

خاصة في زماننا اليوم الذي يشهد تسارعا في الأحداث وتطورا مذهلا في المجال التكنولوجي والإعلامي وغيره من المجالات التي وجب معه المواكبة وتقديم قدوات وكوادر من العلماء والملهمين والمصلحين العالمين بأمور دينهم ودنياهم، دارسين لسيرة رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم من مصادرها الأولية ومراجعها الشرعية، ترسمينها في كل أحوالهم، عقيدة وعبادة، بلا مغالاة ولا مداناة، ليكونوا أناسا ربانيين في كافة أوقاتهم، وقضاياهم، وأمورهم كلها. وأول مصادرها تماما: القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وتقديمها لغير المسلمين أنموذجا صالحا للاقتداء والاهتداء بشكل حقيقي واضح مشرق منير– فهي بوقائعها وحقائقها كذلك– فهو المثل الإنساني الأعلى صلى الله عليه وسلم.

خاتمة:

ختاما يمكن القول: أنه لم تعن أمة من الأمم في القديم والحديث بآثار نبيها وحياته، وكل ما يتصل به من قرب أو بعد، مثل ما عنيت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل، هذه العناية التي كان من آثارها هذه الثروة الطائلة من الكتب المؤلفة

وهو ما يضع دارس السيرة كما أكدنا في هذه الورقات في حيرة شديدة، في أي الكتب يقرأ؟ وبأي كتاب يبدأ؟ وكيف تكون الأولويات في دراسة السيرة؟ وما المنهج السليم الواجب اتباعه؟ فكان هذا البحث إجابة مختصرة لبعض الملامح والنظرات في هذا المنهج.

ولما للمنهج من تأثير في الكتابة فإننا سعينا إلى تحديد أطر منهجية ضابطة للدراسة والكتابة، مع التركيز على أهمية هذا العمل والذي حددناه في فهم حقيقة الإسلام ومنهجه المتكامل، إذ لا يخفى على كل دي لب ما يكتسبه هذا القيد من مكانة من جهة عجز من يفتقده إلى قراءة أحداث السيرة قراءة موضوعية تمكنه من سلامة فهم الأحداث، وتقصي أسبابها، ومعرفة دوافعها، وتفسيرها بما يتفق مع روح الإسلام.

فالسيرة النبوية الشريفة، شرح عملي عميق في واقع الحياة، وتصوير للقرآن الكريم والإسلام كله، في ميادينها كافة، فمطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى قراءة السيرة ودراستها دراسة استراتيجية في مختلف الحالات الاجتماعية والتربوية والعلمية والإدارية والسياسية والاقتصادية، والحركية، والأمنية، والثقافية.

مع دقة تحليل الواقع المعاش من خلال متخصصين، لا متحمسين فقط، ثم دراسة السيرة وتحليلها، ثم تحديد مواقع الاقتداء من مسيرة السيرة، أو اكتشاف المرحلة من السيرة التي تمثل حالة الاقتداء وكيفيته من خلال ظروف الحال نفسه.

ثم أكدنا على ضرورة اتباع المنهج السليم في قراءة السيرة وذلك ب: معرفة حدود العقل في قبول النصوص وردها وعدم اهمال الدليل المضاد. باعتباره من أسوأ العيوب المنهجية، وأشدها خطورة على نتائج أي بحث علمي، ثم فهم السيرة من خلال القران وتفادي الانتقائية اذ لابد لاي باحث في السيرة من المقارنة بين ما نزل من القرآن ووقع في السيرة النبوية. وتفادي الانتقائية في اختيار المصادر، ولهذا كان الاعتماد على المصادر الثانوية او غير المتخصصة مما يعيب منهج البحث ويضر بالنتائج، وكذا تمحيص الصحيح من الأخبار فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة وهذا هو المنهج المعتبر عند الأئمة المحققين.

ثم ختمنا البحث بمحور تحدثنا فيه عن السيرة النبوية بين طرق التأسي وسبل التنزيل، فأكدنا صدق العاطفة وتوازنها باعتبارها من أسس الكتابة في السيرة ودراستها، إذ توفر المحبة الصادقة لصاحبها صلى الله عليه وسلم فهي العاطفة الحية التي تشعر بمدى الارتباط الحقيقي قلبا وقالبا، والتفاعل الحقيقي مع أحداث سيرته ثم حسن التأسي لأن سيرته عليه السلام تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته.

ومن تم يمكن استنتاج العديد من النتائج الهامة وتوسيع الآفاق للبحث المستقبلي في هذا المجال. يمكن إجمالها في الآتي:

التأكيد على أهمية السيرة النبوية كما أكدت الدراسة السابقة كمصدر ثابت لمعرفة حياته عليه السلام وتنزيلها على أرض الواقع.

أهمية التحقق من صحة وموثوقية المصادر المستعملة في كتابة السيرة والذي يرتكز على تحليل ونقد الروايات والاسانيد لضمان صدق النقل.

التركيز على الجوانب الأخلاقية والقيمية في حياة الرسول عليه السلام لما لها من انعكاس على المجتمع والأجيال ولما لها من دور في تعزيز الانتماء وتنمية الأخلاق وبناء الشخصية المسلمة الرائدة والمسؤولة.

وتبقى السيرة النبوية رمز للتعايش والتسامح والدعوة للأخوة والإنسانية في أبهى صورها ورسالة للعالمين تخرجهم من الظلمات إلى النور.

ويبقى البحث فيها مستمرا شيقا يستدعي المزيد من الاستكشاف الذي يدفع بالحضارة الإسلامية إلى التألق والازهار والنجاة.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة التي وجب ترسمها في كل أحوالنا، عقيدة وعبادة، بلا مغالاة ولا مداناة، لنكون اناسا ربانيين في كافة أوقاتنا، وقضايانا، وأمورنا كلها، لنسود كما ساد الرعيل الأول، ونعود لحمل مشعل الأمانة ونرتقي لمستوى الخيرية التي ارادها الله عز وجل للامة الوسط.

الهوامش:

1 – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة 2/ 7

2 – المرجع نفسه.

3 – تاج العروس من جواهر القاموس محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي 115/12

4 – معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين 120/3 و: الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح العلامة الجوهري (و) المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية) إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي – أسامة مرعشلي 2497.

5 – المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة 467/1

6 – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى بن حسني 56

7 – المرجع السابق.

8 – المرجع السابق. 66

9– مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية net.islamweb.www//:http 1/ 13 راغب الحنفي راغب السرجاني

10 – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى بن حسني 56

11 – المرجع السابق.

12 – السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية أكرم ضياء العمري 18/1

13 – المرجع السابق.

14 –من المحاولات الجيدة في هذا الصدد: كتاب منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة، للطيب برغوث، وكتاب في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحماية والحذر، د إبراهيم علي.

15 – السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها عبد الرحمن على الحجى 456/ 62

16 – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ابن تيمية الحراني 105/8. ولابن تيمية قاعدة للتمييز بين الصدق والكذب في المنقولات في غاية الأهمية تجدها في منهاج السنة، 34/7- 43، 7/ 419 – 479.

17 – السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية أكرم ضياء العمري ص: 17.

18 – المرجع السابق.

19 – ولقد رد الغزالي في (فقه السيرة رواية البخاري في أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق وهم غارون، بناء على أنه لا تجوز مباغته العدو إلا بعد إنذاره، مع أنه يجوز ذلك مع من بلغتهم الدعوة انظر: فقه السيرة المؤلف: محمد الغزالي السقا. عدد الصفحات: 480– 203.

20 – السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية أكرم ضياء العمري المرجع السابق 17/1

21 – المرجع السابق.

22– العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية خالد بن منصور. 47/81

23– المرجع السابق 52/81

24 – السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية محمد بن مصطفى بن عبد السلام الديبسي 3/624

25 – المرجع السابق.3

26 – فقه السيرة محمد السباعي المرجع السابق. 13/1

27– العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة. 33/81

28– المرجع السابق.

29 – فقه السيرة السباعي في المرجع السابق ص: 26

30 – أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع، الجزء الثامن 2/ 162

31 – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي 162/2.

32 – ولا يفهم من هذا رد أحاديث الآحاد في باب الاعتقاد فهو خلاف منهج أهل السنة، مقدمة في السيرة، د المحمود.

33 – السيرة، للعمري: 40/1، وانظر التزامه هذا المنهج في مقدمته، ص 19.

34 – السيرة، للعمري: 20/1.

35 – فقه السيرة السقا المصدر السابق. 6

36 – أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، كتب السنة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. ص: 17

37 – محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مدخل لدراسة السيرة النبوية د/ محمد الغمراوي، ص:15.

38 – السيرة النبوية – دروس وعبر المرجع السابق ص: 18.

39 – المرجع السابق.

40 – السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها عبد الرحمن على الحجى ص:49

41 – المرجع السابق.

42 – السيرة النبوية – دروس وعبر المرجع السابق ص: 19

43 – السيرة النبوية الصحيحة محاولةٍ لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة المرجع السابق15/1

44 – المرجع السابق.

45 – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة ص: 17/1

46 – السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها المرجع السابق ص: 87